

الصامرون

[لقد كنت تحمل رماذك في ذلك الحين الى الجبل،
فهل تحمل الآن نارك الى الوادي ؟ ..]

من لوعة الاحزان ، من سأم الليالي الخاويات
من وحدتي المحنومة الدكناء ، من ليالي المري
عيناى مطبقتان في نهم على كون مضاء

.....
كوخى المخلص ، والدجى ، والسامرون
ولهيب مدفأتي القديمة ، حيث تحتضن الظلال
اضواءها المتبعثرات

وكأذرع الموتى ، هناك ، نعوم في الافق البعيد
بعض السنابل ، بعض دُفلى ، بعض غابات النخيل
ونسائنا الشكلى ، ووحشتنا ، وجارتنا العجوز

— بالأمس سيق وليدها الواعي الى ليل السجون —
معروفة عمياء ، تطرد بالتعاويد المهوم
وعويل جائعة يمزق هدأة الصمت العميق
ابدأ ولا وجه يعبر عن حبور
لا بسمه تشدو ، ولا وجه يعبر عن حبور
والموت والاقطاع يفترسان اعشاب القطيع
وبلا ربيع

ستظل ايام الكسالى الخانعين بلا ربيع
والليل ، والحى ، وحراس الحقول من اللصوص
— ككلاب فريتنا الهزيلة — من طوى متوحشون
والخوف ، والارض الحزينة ، حيث اشداق الحريف
عبر الفصول الغبر تزدرد المروج
ولقد مللت مدينة الاوغاد حيث الجاثرون بلا ضمير
وبلا دم وبلا قلوب

وبلوت ألوان المصائب ، واغترفت شذى الحنان
من قلب طائشة ، اراقت عبرة اللحن الاخير :

« قد مات حبي ، جف ينبوع الرؤى واحمر تاد »
وتلوت انجيل الحياة الرث في نهم شديد
وخرجت باللاشيء ، إلا من اغاريد حرار
« يا اخوتي الرفقاء ، ما زالت اباطيل القرون
تستعبد التاريخ . دكوا صخرة الماضي الأثيم

لا بد من شيء جديد «
وسئمت آفاق المدائن حيث تنتصب البروج
وعلى اعاليها يرفرف بيرق الحزبي الشنيع
والليل والغرباء — مصاصو رحيق حياتنا —
والساقطون فرائس الزمن المريض
التافهون الماسخون

بعض الشعارات النبيلة من اغاني الصامدين :
« أواه دعهم ، يارفيق الدرب ، دعهم ، هيزأون
بهمومنا المترنات
بدموعنا المتحدرات
بسجوننا ، بقيودنا المتحجرات
أواه ، دعهم ، إنه الطوفان ، يكتسح السوموم
والعار من ارض العبيد . »
... وغمرت قلبي بالرماد

ودفنت احلامي الوضئيات العذارى والورود
وشككتهن بلا دموع
وجنحت في آلامي المتوقدات
من نعمة الموتى ، ومن احقاد مجتمع هزيل
وعدوت ، لا كانت رؤى الماضي البليد
والريح تطرق باب احلامي ترن وتستعيد :

« انحر بزورقك العباب
ابدأ عذارى اليم تؤنس وحشة الأفق السحيق . »
وعدوت لا كانت رؤى الماضي البليد
وهرعت للكون المضاء
وعلى مدينتهم بصقت ، ادق باب المستحيل
عبر الممرات الوعيرة ، والدماء
من جرح اقدامي تسيل
والشوك ، والدرب الطويل ، وامنياني المطفآت
وصدى صلاة

عذراء تصعد للنجوم
أمشي ، واسأل وحشي الدكناء عن نجم بعيد
زاه ، ينام وراء امواج الرمال .
والصمت ، والاشباح ، والقلق المبيد
وحش يطاردني الى صحراء قاحلة السهوب
مجمولة الابعاد ، تسبح في بحار من جليد
حتى لمحت ، على طريق الشمس ، قافلة ونار
من حولها رفقائي الاحرار في احساسهم
يتدفأون .

كاظم جواد

بغداد